

ما هي قصة "المنطقة العازلة" التي طرحتها السعودية ونفها الحوثيون؟ هل كانت "بالون اختبار" أم مبادرة جدية لإنهاء الحرب

قبل وصول بايدن للبيت الأبيض؟ وكيف يمكن أن يُغيّر ترامب كُل المُعادلات إذا أقدم على هذه المُقاومة؟ وأين إيران من هذا المـ_لــاف؟

عبدالباري عطوان

أكثـر ما يُقلق القيـادة السـعودـيـة هـذه الأيـام هو إـقدام تحـالـف حـرـكة "أنـصار الله" الحـوثـيـة الـيـمنـيـة عـلـى إـطـلاق صـوـارـيخ عـلـى أـهـدـافـ في مدـيـنـة الـرـيـاضـ أـثـنـاء انـعـقـاد قـمـة العـشـرـين الـتـي تـشـارـكـ فـيـها الدـوـلـ الكـبـيرـيـ الأـقـوـيـ اـقـتصـادـيـاـ فيـ الـعـالـمـ، وـخـاصـةـ الـدـوـلـ الـخـمـسـ الـأـعـصـاءـ فيـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ الـدـوـلـيـ إـلـىـ جـانـبـ الـيـانـ وـكـورـياـ الـجـنـوـبـيـةـ وـتـرـكـياـ.

فرئاسة المملكة لهذه القمة يعني تعزيز مكانتها كقُوّة سياسية واقتصادية كبيرة، ولكن لسوء حظ قيادتها، أن هناك عدّة عوامل تُفسّد على المملكة توظيف هذه الفرصة النّادرة لتعزيز هذه المكانة، وأبرزها سقوط حليفها الأميركي دونالد ترامب في الانتخابات الأخيرة، وتصاعد الحرب في اليمن، وظهور مطالبات عديدة بمقاطعة هذه القمة بين تدهور حقوق الإنسان في الدولة المُضيفة، علاوةً على انتشار فيروس كورونا الذي هوّ لها إلى قمة "افتراضية" عبر المشاركة عن طريق الاتّصال عن بُعد.

النصف الصّاروخي اليمني يظل غير مُستبعد بالذّطر إلى تصعيد الحركة الحوثية لهجماتها العسكرية على أهدافٍ في العُمق السّعودي، خاصةً في مدينة جازان الْهُدوديَّة، حيث جرى قبل أسبوع إرسال العديد من الطّائرات المُسيَّرة والرّوارق المَلغومة، تم إسقاط بعضها عبر صواريخ "الباتريوت"، بينما نجح البعض الآخر في الوصول إلى أهدافه وإشعال حراقٍ ضخمٍ في مُنشآت نفطية تابعة لشركة أرامكو.

* * *

ما يُقلق القيادة السعودية هذه الأيام ليس انخفاض العوائد النفطية، ولجوئها إلى الاقتراض وطرح سندات لسد العجز في ميزانيتها، وإنّما أيضًا حرب الاستنزاف في اليمن التي باتت كفّتها ترجم لصالح الحوثيين في الفترة الأخيرة، واحتـمال تنفيذ الرئيس الأمريكي الجديد بايدن لتعهـداته أثناء حملته الانتخابية بوقف جميع صفقات الأسلحة الأمريكية المـُتطوّرة للسعودية حتى تتوقف حربها في اليمن.

العـلاقات السعودية مع معظم، إن لم يـكـن كـلـ الإـدارـات الـديمقـراـطـيـة الـأمـريـكيـة، كانت تـتـسمـ بالـتوـتـرـ، ولا نـعـتقـدـ أنـ هـذـاـ الـوضـعـ قدـ يـتـغـيـرـ معـ فـوزـ باـيـدنـ فيـ الـانـتخـابـاتـ الرـئـاسـيـةـ الـأخـيرـةـ، واستـمرـارـ سيـطـرـةـ الـديـمـقـراـطـيـينـ عـلـىـ مـجـلسـ النـوـابـ، وـبـمـاـ تـزـدـادـ هـذـهـ الـعـلـاقـاتـ تـأـوتـرـاـ إـذـاـ قـرـرـ الرـئـيسـ باـيـدنـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـاتـفـاقـ الـنوـوـيـ، وـرـفـعـ الـعـقـوبـاتـ الـاـقـتـصـاديـةـ عـنـ إـيـرانـ، الـأـمـرـ الـذـيـ سـيـسـمـحـ لهاـ بـتـصـدـيرـ النـفـطـ مـُجـدـدـاـ وـاستـعادـةـ عـشـرـاتـ الـمـليـارـاتـ الـمـُجـمـدـةـ، وـبـمـاـ يـمـكـنـهاـ منـ دـعـمـ حـلـفـائـهاـ فـيـ لـبـانـ (ـحـزـبـ اـلـاـمـ)، وـالـعـرـاقـ (ـالـحـشـدـ الشـعـبـيـ)، وـالـيـمـنـ (ـأـنـصـارـ اـللـهـ)، وـغـزـةـ (ـحـرـكـةـ حـمـاسـ)ـ وـالـجـهـادـ الـإـسـلـامـيـ).

كان لاـفـدـاـ ماـ ذـكـرـتـهـ وكـالـةـ أـنبـاءـ "ـرـويـترـزـ"ـ الـعـالـمـيـةـ حولـ عـرـضـ سـعـودـيـ بـإـقـامـةـ شـرـيطـ حـدـودـيـ عـازـلـ عـلـىـ طـوـلـ الـحـدـودـ الـيـمـنـيـةـ السـعـودـيـةـ عـلـىـ وـفـدـيـ حـوـثـيـ بـقـيـادـةـ السـيـدـ مـحـمـدـ عـبـدـ السـلـامـ، كـبـيرـ الـمـُفـاـوـضـيـنـ، مـُقـابـلـ تـشـكـيلـ حـكـومـةـ اـنـتـقـالـيـةـ وـوقـفـ إـطـلاقـ النـذـارـ، أـثـنـاءـ مـُفـاـوضـاتـ عـلـىـ مـُسـتـوىـ عـالـيـ بينـ الـجـانـبـيـنـ.

الـجـانـبـ الـسـعـودـيـ يـقـولـ إنـ هـذـهـ الـمـبـادـرـةـ انهـارتـ بـعـدـ الـهـجـومـ الـذـيـ شـنـتـهـ الـحـرـكـةـ الـحـوـثـيـةـ لـلـسـيـطـرـةـ عـلـىـ مـُحـافـظـةـ مـأـربـ الـغـنـيـةـ بـالـغـازـ وـإـخـرـاجـ فـوـاتـ "ـالـشـرـعـيـةـ"ـ مـنـهاـ قـبـلـ شـهـرـيـنـ، لـكـنـ هـنـاكـ تـسـرـيبـاتـ تـقـولـ إنـ الـجـانـبـ الـيـمـنـيـ الـمـُفـاـوـضـيـنـ تـقـدـمـ بـحـزـمةـ بـحـزمـةـ مـنـ الـمـطـالـبـ أـبـرـزـهاـ عـمـقـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ الـعـازـلـةـ، وـاقـتـصـارـهاـ عـلـىـ الـجـانـبـ الـسـعـودـيـ منـ الـحـدـودـ، وـالـاعـتـرـافـ بـالـحـرـكـةـ الـحـقـوقـيـةـ وـحـلـفـائـهاـ كـمـنـتـصـرـينـ فـيـ الـحـرـبـ الـيـمـنـيـةـ، حـسـبـ مـاـ أـكـدـ لـنـاـ مـصـدرـ يـمـنيـ موـثـوقـ.

مـصـدرـ يـمـنيـ كـبـيرـ لـمـ يـسـتـبعـدـ فـيـ اـرـصـالـ هـاـتـفـيـ مـعـهـ أـنـ تـكـونـ السـلـطـاتـ السـعـودـيـةـ سـرـبتـ هـذـهـ الـمـبـادـرـةـ إـلـىـ الـوـكـالـةـ الـعـالـمـيـةـ "ـرـويـترـزـ"ـ كـبـالـونـ اـخـتـبـارـ وـمـنـ أـجـلـ جـسـ النـبـضـ وـأـكـدـ أـنـهـ لـيـسـ مـنـ مـصـلـحةـ الـحـوـثـيـينـ اـنـتـهـاءـ الـحـرـبـ إـلـاـ بـشـرـوطـهـ، وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـقـبـلـواـ بـمـنـطـقـةـ عـازـلـةـ تـشـمـلـ مـدـنـهـمـ وـقـرـاهـمـ، لـأـنـ هـذـهـ يـعـتـبـرـ خـيـانـةـ لـمـبـادـئـهـمـ، وـالـتـضـحـيـةـ بـدـمـاءـ الشـهـداءـ وـكـلـ إـنجـازـاتـ الصـمـودـ، حـسـبـ رـأـيـهـ.

وـأـكـدـ هـذـهـ المـصـدرـ أـنـ مـنـطـقـةـ عـازـلـةـ فـيـ زـمـنـ الصـوـارـيخـ وـالـمـسـيـرـاتـ تـعـتـبـرـ "ـنـكـتـةـ"ـ غـيرـ مـضـحـكـةـ عـلـىـ الـإـلـاقـ، وـأـشـارـ إـلـىـ أـنـ التـيـارـ الـمـُتـشـدـدـ فـيـ أـوـسـاطـ الـحـوـثـيـينـ وـهـوـ الـفـالـبـ، وـيـؤـمـنـ بـأـنـ تـرـكـيعـ السـعـودـيـينـ بـوـسـائـلـ الضـغـطـ الـفـاعـلـةـ مـثـلـ الصـوـارـيخـ، وـمـحـاوـلـةـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ مـأـربـ، هـوـ الطـرـيقـ الـأـقـصـرـ لـإـجـارـ السـعـودـيـينـ عـلـىـ التـفـاوـضـ مـنـ مـوـقـعـ قـوـةـ وـفـرـضـ الشـرـوطـ، وـهـذـاـ مـاـ يـفـسـرـ صـدـورـ نـفـيـ سـرـيعـ

لهذه المُبادرة من جانب الحوثيين وامتناع السّعوديين عن التّعليق.

الذّقطة الأُخرى التي لا تقلّ أهميّة، أنّ حركة "أنصار الله" الحوثية باتت كُتلةً رئيسيةً في محور المُقاومة الذي تزعّمه إيران، ومن المُستغرب أن تُشجّع إيران حليفها الحوثي في الدّخول في أيّ مُفاوضات في الوقت الراهن مع السعودية في ظل فوز بايدن وهزيمة ترامب، فالإيرانيون مشهورون بالذّفاف الطّويل، وعدم التّسرّع، خاصةً في المراحل الضّبابية مثل المرحلة الانتقالية الأمريكية الحالية.

ما يُمكّن استخلاصه من ثنايا هذا العرض، سواءً كان جديّاً أو بالون اختبار، أنّ القيادة السعودية أولويّة قُصوى لوقف الحرب بأقلّ قدر مُمكّن من التّنازلات، ودون أيّ اعتبار لمطالبه السّابقة التي استخدمتها كمبرر لإشعال فتيلها قبل ما يَقرُب من السّنتين، مثل عودة الحكومة "الشرعية" بقيادة الرئيس عبد الله منصور هادي، وتoward أنباء عن وجود خلافات مع حليفها الإماراتي، وغرق اليمن في حالةٍ من الفوضى والانقسامات.

من الصّعب علينا التنبؤ بتطويرات الأيام والأشهر المُقبلة المُتعلقة بالحرب اليمنية، ولكن إذا حاول الرئيس ترامب مُجدّداً تنفيذ تهدیداته بوضع حركة "أنصار الله" على قائمة الإرهاب، فإنه بذلك يقضي على فرص الحلول السلمية، وتوسيع دائرة الحرب، ووصول المسنة لهبها إلى منطقة الخليج، وربّما فلسطين المحتلة أيضاً.. والله أعلم.